

على الرغم من عدم وضوح المذهب الواقعي في أوروبا الشرقية، في مفارقتها للأدب الواقعي في أوروبا الغربي، إلا أن الأدب في روسيا كانت له شخصي مستقلة عن أدب غرب أوروبا، سواء اتعلق بالانتماء الحضاري المتعدد للشعب الروسي أم في طبيعة الثقافة الروسية التي لم تتنصل من علاقاتها بالأدب في المشرق، ولكن تلك الاستقلالية وجدت ضالتها المفارقة لأوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، في تبني الفكر الماركسي، وتداعيات ذلك السياسية والاجتماعية والأدبية . ما قبل ثور أكتوبر البلشفية عام 1917م، والمتغيرات الثقافية التي تبعت سقوط الامبراطوري الروسية، وقيام النظام الاشتراكي .

أولى علامات الاستجابة للفكر الماركسي في روسيا، ما قدمه، ناقد روسيا الأبرز في القرن التاسع عشر بيلنسكي (1810-1848) وتلامذته، من رؤية لا تفصل النتاج الأدبي عن المجتمع، داعين الى أن يكون الأدب انعكاسا للمجتمع ناقلا الواقع بأمانة من دون تغيير أو تجميل، عادين الدب الحقيقي (ما كان تعبيراً عن الروح القومية وعن الحركة الديالكتيكية (الجدلية) للأفكار السياسية ) . وتتلخص الرؤية الماركسية للأدب في أنه جزء رئيس من (البنية الفوقية) للمجتمع ، التي تضم الثقافة والايديولوجيا، في حين يكون الاقتصاد والمنجزات المادية (البنية التحتية)ن فأي تغير في قوى الانتاج ضمن البنية التحتية ينعكس على البنية الفوقية ويمكن ان تؤثر البنية الفوقية في النشاط ضمن البنية التحتية أو تمثله أيديولوجيا .

وقد تطور النقد الاجتماعي باتجاهه الماركسي على يد أكثر من ناقد، وأبرزهم الناقد جورج لوكاش (1885-1971)، الذي حلل العلاقة بين الأدب والمجتمع، وعدّ الأدب انعكاساً للحياة، وقدم دراسات تثبت علاقة الأجناس الأدبية وتطورها بالمجتمع ومتغيراته ، فيما سمي بـ(سوسيولوجيا الأجناس الأدبية).

ولم يهمل نقد لوكاش حركة المجتمع في التاريخ، الذي يقدم الأدب صوره، ولاسيما في الرواية، ويبرز هذا الاهتمام في كتابة (الرواية التاريخية)، إذ يؤثر الزمن والاطار التاريخي على المؤلف ووسائل تعبيره، والعوالم التي يعكسها في ذلك الأدب شخصاً واماكن وعصر. وقد أكمل اتجاه لوكاش وطوره ناقد حقق منجزاً مفصلياً في تاريخ النقد الاجتماعي غير منفصل عن تطور النقد في ميدان مجاور أنجز المنهج البنيوي، هو لوسيان غولدمان الذي طور ما نجزه لوكاش الذي أسس اتجاهها أطلق عليه (علم اجتماع الابداع الأدبي )، ولكن الانجاز الأكبر يتجلى في تكريس غولدمان اتجاهها، يحقق التصالح بين النقد الاجتماعي، أو علم اجتماع الأدب والبنيوية فيما أطلق عليه (البنيوية التكوينية ) أو (البنيوية التوليدية)،

والسؤال الذي يفرض أفقه المعرفي فيما يتعلق بالبنيوية التكوينية، كيف يمكن لمنهج سياقي منفتح على ما يحيط بالنص كالمناهج الاجتماعي أن يندمج بمنهج يغلق دائرة النص على كل ما يقع خارجية وهو البنيوي ؟

هذا ما استطاع أن يقدمه لوسيان غولدمان في اطروحته للدكتوراه التي نشرت في كتاب بعنوان (الإله الخفي)